# دور المرجع الديني علي السيستاني في مواجهة الاحتلال في العراق بعد عام 2003

أ. د عامر حسن فياض[*] محمد جميل عوده[**]

**المقدمة:**

**عاش العراق عقوداً قاسية ومؤلمة في ظل حكم حزب البعث بقيادة صدام حسين، ولم تكن هناك ملامح لأي نظام ديمقراطي او حتى شبه ديمقراطي حيث ان احادية السلطة واحادية الفكر مثلت العلامة الرئيسية لماهية الحكم،مع مصادرة حقوق وحريات الشعب بقبضة من حديد، وبتوالي السنوات وما استنزفته الحروب على مستوى الموارد البشرية والمادية والنفسية بدت الدولة تنهار اجتماعيا، فشكلت حقبة التسعينات انتكاسة كبيرة على مستوى انحطاط العلم وشياع الفساد وازدياد الفقر بشكل كبير جدا، و ما عاد للناس ان تفكر بشيء سياسي او حريات وكان هم المجتمع هو كيف يعيش يومه في ظل انعدام فرص الحياة، هاجر العلماء والمفكرون، وتم اعدام رجال الدين والمعارضين السياسيين، وشرد الالاف من العوائل، وتيتم الملايين من اطفال العراق، مع تلك الاوضاع المأساوية كان هناك تواطئ عربي وصمت اقليمي ودولي لما يتعرض له الشعب العراقي من حصار وظلم وجوع واضطهاد.**

**وبعد ان تم اسقاط نظام صدام حسين من قبل القوات الامريكية المحتلة، وتأمل العراقيون ان لا تعود تلك الايام المظلة، مارس الشعب حريته لأول مرة منذ عقود حيث حرية التعبير وحرية السكن والعمل وحرية العبادة واقامة الشعائر والطقوس، منذ**

[*] عميد كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين.

[**] كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين.

**اولى ايام التغيير شخصت اعين العراقيين الى المرجعية الدينية متمثلة بالمرجع السيستاني، فاصبح بالنسبة للشعب الرمز الملهم والقائد الذي ملأ الفراغ وساهم في الحفاظ على الجزء الاكبر من مؤسسات الدولة ناهيك عن مساهمته في حفظ النسيج الاجتماعي ولعل الاهمية التاريخية والعلمية والاخلاقية تحتم علينا ان ندرس ونشخص تلك الاسهامات المفصلية في تاريخ الشعب العراقي حيث سنتناول في هذا المبحث اسهامات ودور المرجع السيد السيستاني في التعامل الاحتلال.**

**اولا:واقع الاحتلال:-**

**ان البحث والدراسة في موضوعة الاحتلال وتداعياته على المشهد العراقي والاقليمي والدولي، ودور المرجع السيستاني في مواجهته يتطلب المرور ولو بشكل مختصر عن وضع العراق ما قبل اسقاط نظام صدام حسين، حيث طبيعة الازمات المجتمعية التي عاشها الشعب العراقي وكيف اثرت على بنيته الاجتماعية والعقائدية، وبما ان الشعب العراقي عاش في تلك الفترة عقودا من الاضطراب على مختلف المستويات في ظل تواطئ وصمت دولي واقليمي، ولعل دعم بعض الدول الاقليمية والدولية للنظام البعثي وهو يمارس ابشع انواع الظلم والاضطهاد، ضد ابناء بلده، ماهي الا جريمة انسانية تتحمل مسؤوليتها تلك الدول ايضا وليس فقط النظام البعثي، ورغم ما تعرض له الشعب العراقي حافظ وبشكل جيد على قيمه الاجتماعية والدينية ولم تنقطع علاقته بمرجعيته الدينية رغم التعسف الذي مورس ضدها ومنعها من ممارسة ابسط مهامها، ولم تكن اوضاع العراق مستقرة فتعرض الى ازمات ومشاكل كبيرة سياسية واقتصادية واجتماعية.. الخ، وبدت تلك المشاكل بشكل واضح منذ ثورة 14 تموز 1958م، حيث بداية تأسيس النظام الجمهوري وبدء فترة الانقلابات والازمات فعاش العراق تحت وطأة خمسة انقلابات عسكرية وزج في ثلاثة حروب طاحنة وحصار اقتصادي دام 13 عاماً، انعكست اثارها وتداعياتها على الشعب العراقي بصورة سلبية[1].**

**لم يكن العراق مستقرا طوال فترة حكم حزب البعث حيث تعرضت الدولة لانهيارات وصدمات كبيرة على مستوى الاجتماعي والاقتصادي ناهيك عن الوضع الامني**

**والسياسي الداخلي والخارجي، ومثلت الحرب التي خاضها النظام البعثي مع ايران احدى اهم الامور التي ادت الى تدهور اوضاع العراق اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، فكانت حربا باهظة التكاليف وعانى العراق من ديون كبيرة اثناء وبعد الحرب ومثلت ديون الغرب واليابان 30 مليار دولار والاتحاد السوفيتي 10 مليار دولار ودول الخليج تصل الى 55 مليار دولار مع وجود بنى تحتية مدمرة تحتاج الى 200 مليار لكي تعود صالحة[2].**

**الساحة السياسية والاجتماعية في الولايات المتحدة لم تكن موافقة بشكل كامل على الحرب التي ستقوم بها الولايات المتحدة على العراق في بداية 2003، وقد عبر مستشار الامن القومي الامريكي في زمن حكم "بوش الابن" ( ان أي هجوم على العراق من شأنه ان يحول الشرق الاوسط الى "مرجل "يغلي ومن ثم يدمر جهود الحرب على الارهاب[3]. هنا امتدت معارضة الحرب على العراق داخل وخارج الولايات المتحدة فثمة معارضة وتخوف واضح في داخلها وخاصة من قبل فريق الديمقراطيين في الكونجرس الامريكي، ويرون تجاهل بوش الرئيس لمجلس الامن باعتباره الجهة الوحيدة القادرة على اعطاء الموافقة على ضرب العراق، وكذلك هناك قلق على نطاق واسع في البلدان الاوربية وقد عبر الرئيس الفرنسي"شيراك" في حينها "أي عمل عسكري انفرادي لامريكا في العراق غير مقبول"، وبعد سلسلة الضغوط التي تتعرض لها ادارة بوش في الحصول على غطاء كبير للحرب التي تنوي القيام بها، تحدث الرئيس بوش في خطابه امام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة بتاريخ 12 سبمتبر 2002م، حيث قال "ان من الواجب البدء من محاولة الحصول على موافقة مجلس الامن الدولي على الحرب في العراق، كما لا ينفي مزاعم بلاده القيام بها حتى وان لم تحصل على موافقة مجلس الامن"[4]، ويتفق المراقبون والاكاديمون والسياسيون الامريكيون ان غزو العراق واحتلاله عام 2003م ما كان يحدث لو لا نفوذ مايعرف" تيار المحافظين الجدد" وتأثيره في ادارة بوش الابن الاولى، فعلى حد تعبير الصحافي والكاتب الاميريكي"توماس فريدمان، ان الحرب في العراق ارادها المحافظون الجدد**

"[5]. ومن اهم الاسباب والشعارات التي رفعتها الولايات المتحدة في تبريرها القيام باحتلال العراق[6].

1. القضاء على اسلحة الدمار الشامل
2. نشر الديمقراطية والتخلص من حكم صدام حسين
3. مكافحة الارهاب

لم تكن القوى العراقية المعارضة لنظام صدام حسين تعرف كل نوايا وخطط الولايات المتحدة الخاصة بالحرب على العراق ومستقبل النظام السياسي، وقبل اشهر من اسقاط نظام صدام حسين عبرت قوى عراقية معارضة للنظام عن رفضها تعيين حاكم عسكري من قبل سلطة الاحتلال بعد تغيير ذلك النظام، وان تعيينه سيؤدي الى مشاكل منها[7]:-

1. ان تعيين حاكم عسكري امريكي سيجعل القوات الامريكية قوات محتلة وهذا سيولد رفضاً عراقياً وربما يتحول الى مقاومة مسلحة.
2. ان تعيين حاكم عسكري على العراق يتنافى مع ادعاء الولايات المتحدة انها تريد اقامة حكم ديمقراطي في العراق.
3. ان الولايات المتحدة تقول ان احد اسباب اسقاط نظام صدام هو محاربة الارهاب وتعيين حاكم عسكري سيشجع المنظمات الارهابية على القيام بعمليات ارهابية.

لذلك لم تكن قوى المعارضة العراقية مرتاحة او مطمئنة لمزاعم الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها من اسقاط نظام صدام حسين، فمازالت تلك القوى تعيش خيبة الامل ازاء موقف الولايات المتحدة وحلفائها من الدول العربية من انتفاضة عام 1991م والتي كان بأستمرارها انهاء حكم نظام صدام في وقت مبكر، فكانت هناك خشية من الاهداف والمساعي التي يتم تبنيها من الغرب، ويذكر احد الصحفيين انه قد سأل احد اهم اقطاب المعارضة العراقية اية الله محمد باقر الحكيم : ماهو رأيكم من الدور الامريكي الرامي لتغيير نظام صدام حسين ؟ فكان جواب الحكيم :- رغم ماجرى في عام 1991 لكن الان الاوضاع تغيرت في العالم وامريكا بدات تفكر

بشكل جدي من تغيير نظام صدام لكن ما نخشى منه ما بعد التغيير ماذا سيفعلون وهل سيجعلون القوى الشعبية هي من تدير امورها(2).ويمكن ان نلحظ من ذلك أن المعارضة لسلطة الاحتلال، لها جذور ما قبل التغيير حيث كانت خططهم واهدافهم ليس جميعها محط قبول من القوى العراقية المعارضة، وان تلك المعارضة وان كانت لم تغير من قيام الحرب بل كانت تهدف لوضع رؤية موحدة للقوى المعارضة لما بعد صدام، وينتج من ذلك ان القوى العراقية لم تكن مرتاحة لمزاعم وتصرفات الامريكان وهناك تقاطعات بينيه واضحة[8].

ولم تناقش الولايات المتحدة الامريكية بشكل واضح ومباشر مستقبل العراق بعد تغيير صدام فهل كانت تريد ان تؤسس لديمقراطية حقيقية ام تريد احتلالاً يطول لعشر سنوات وتؤسس نظاماص سياسياً حسب طريقتها ام تريد ان تسيطر عسكريا؟ وتعين نظام تحت سيطرتها، حيث مثلت تلك التحديات انقسامات داخل ادارة بوش ومثلت هواجس حقيقة عند المعارضة العراقية والامريكية(1)، اعلن الرئيس الامريكي جورج دبيلو بوش عن بدء الحرب على العراق من اجل اسقاط نظام صدام حسين بعد استنفاذ جميع الخيارات الدبوماسية حسب قوله، فقد بدأ الجيش الامريكي من مختلف حدود العراق من تنفيذ عملياته مع غطاء وقصف جوي كثيف، بدأت العمليات في يوم الاربعاء التاسع عشر من اذار 2003 وعند سقوط تمثال صدام حسين في التاسع من نيسان شعرت بالفخر والراحة واصبح هدفنا المحوري بعد اسقاط صدام مساعدة العراقيين على تطوير ديمقراطية داعمه للحكم الذاتي[9]. بعد تعيين الحاكم العسكري الجنرال المتقاعد جي غارنر مع بداية اسقاط النظام حل مكانه بول بريمر الحاكم المدني في 12 ايار من العام "2003، ومنح صلاحيات واسعة فاقت بكثير تلك الممنوحة لجارنر، وقد أتبع بريمر بدعم من البنتاغون مجموعة من السياسات الأكثر صرامة وراديكالية، وقد أصدر عقب وصوله في 15/ ايار، الامر رقم (1) لسلطة الائتلاف المؤقتة بمنع الاعضاء في المستويات الأربعة الأعلى لحزب البعث، من تولي مناصب حكومية، بما يعني تطهير الادارة الجديدة من نحو 100 الف عنصر من عناصر النظام السابق[10]، وبعد ذلك بأسبوع وتحديداً في 23/ ايار/ مايو/ 2003،

أصدرت سلطة الائتلاف المؤقتة الامر رقم (2)، بتسريح الجيش العراقي[11]، لم تكن ادارة بريمر والتي سلمت لها المسؤولية في ايار 2003 الى الثامن والعشرين من حزيران 2004م، لم تكن ادارة سليمة وانتهجت مواقف وخطوات سلبية في معظمها، حيث كان بريمر يسعى لعدم تمكين العراقيين وعدم نقل السلطة والمماطلة في اطالة اعطاء أي دور للعراقيين في ادارة شؤونهم[12].

**ثانيا:المواجهة المبكرة للاحتلال:**

تدخلت المرجعية الدينية بشكل مباشر في مواقع متعددة من اجل جعل العملية السياسية بعد عام 2003 على مسارها الصحيح، فأعطت مرجعية السيستاني غطاءً كبيرا للنظام السياسي الجديد وساهمت بشكل مباشر بأعطائه الشرعية وتهذيبه ومارست دوراً ايجابياً في تحشيد الرأي العام الداخلي والدولي ومارست ضغطاً كبيرا على القوى الدولية المحتلة للعراق وايضا المنظمات الدولية من اجل ان ياخذ العراقيون دورهم في بناء مستقبلهم السياسي[13]، وبعد ايام قليلة او اثناء فترة سقوط النظام البعثي بعد عام 2003، تم توجيه سؤال للمرجع السيد السيستاني :ماهي رؤيتكم لمستقبل الحكم في العراق ؟

فكان جوابه :– ان المبدأ الاساس هو ان يكون الحكم للعراقيين بلا تسلط اجنبي والعراقيون هم من يختارون نوع الحكم بلا تدخل الاجنبي، لقد قطع المرجع الاعلى الطريق بشكل مباشر على القوات الاجنبية وحدد البوصلة بوضوح منذ اليوم الاول برفضه المعلن للتواجد الاجنبي ولمشروعه في العراق، وهذه الاطروحات التي يرفض بها المرجع السيستاني وجود واي سلطة للقوات الاجنبية المحتلة دليل على انه ينطلق من رؤية متكاملة حينما يضع الخيار بيد الشعب العراقي بأن هو من يحكم نفسه دون هيمنة وسلطة الاجنبي[14]. وهنا نلحظ منذ اليوم الاول لسقوط النظام البعثي ان المرجع السيستاني ساهم في حفظ الممتلكات العامة والخاصة في ظل المعارك التي تخوضها قوات الاحتلال والتي جعلت مؤسسات الدولة مفتوحة امام عمليات السلب والنهب والحرق، فكان موقف المرجع السيستاني واضحا بتحريم أي عملية سلب ونهب

والاستحواذ على الممتلكات ومنع اثارة الفوضى[15]، بدأ تدخل مرجعية السيد السيستاني واضحا بعد سقوط النظام السابق مباشرة، وما نلاحظه من فتاوى وبيانات اغلب المراجع انها تصدر كأجوبة عن اسئلة يتقدم بها المقلدون، فكانت الفتوى الاولى ردا على سؤال كيف التعامل مع ممتلكات الدولة بعد الفراغ الحكومي وخلو الدوائر من الموظفين، فكان جواب المرجع السيستاني واضحا بحرمة النهب والسلب واثارة الفوضى حفاظا على الممتلكات العامة[16].

تصدت المرجعية الدينية في النجف الاشرف الى الوضع العام وساهمت بشكل مباشر لملء الفراغ في ادارة الدولة، من خلال بياناتها وحركتها الميدانية عبر وكلائها ومعتمديها في جميع انحاء العراق، فعودة المرجعية الدينية لمكانتها ودورها الطبيعي والمحوري في قيادة وتوجيه الامة كان واضحا في اولى بياناتها بعد سقوط النظام البعثي مباشرة، حيث اشار المرجع السيد السيستاني الى ان حقبة النظام الدكتاتوري مثلت حقبة من الالم والصبر والجهاد عاشها الشعب العراقي بشكل عام والحوزة العلية بشكل خاص، وكانت السعادة والفرحة تملأ قلوب جميع العراقيين ومنهم المرجعية الدينية وهي تتطلع لاستعادة تاريخها ومجدها التليد الزاخر بالعلم والشموخ، لكن مازالت هناك مخاطر امنية تواجه العتبات المقدسة والحوزات العلمية وحمل المرجع السيستاني قوات الاحتلال مسؤليتها عن حياة المراجع والعتبات في العراق، كما ناشد الدول العربية والاسلامية والمنظمات الدولية بالوقوف مع العراق في ازالة الخطر الذي يهدد الحوزات العلمية[17]، ولم يكن المرجع السيستاني مرتاحا من وجود قوات الاحتلال معبر عن رفضه بشكل مستمر لذلك التواجد حيث عبر عن رفضه وشجبه لدخول القوات الامركية الى المدن المقدسة وخاصة مدينة النجف واقتحام مكاتب المراجع وكان موقفه واضحا من رفض اقتحام مكتب الشهيد الصدر بعد ازمة النجف التي حدثت والتي تدخل المرجع السيستاني بشكل مباشر لحلها ووضع مبادرة للسلام التزمت بها كل الاطراف[18]، فكانت طروحات المرجع السيستاني واضحة في رفض تواجد الاحتلال ويرى لا مبرر لتواجدهم وان كان العراق بحاجة لقوات اجنبية لحفظ الامن والاستقرار فلتكن تحت مظلة الامم المتحدة[19]، يتفق الكثير من مراجع الدين

وبعض القوى السياسية المعارضة للنظام البعثي مع رؤية المرجع السيستاني بأن عملية تغيير نظام صدام لم تكن بالشكل المنشود أي كان الطموح ان تتم على ايدي ابناء الشعب العراقي بالكامل وليس بمساعدة وتدخل العسكري الاجنبي، ويرى المرجع السيستاني ان تغيير النظام الاستبدادي عن طريق الغزو والاحتلال بما خلفه ذلك من مأس كثيرة ومنها انهيار مقومات الدولة العراقية وانعدام الامن والاستقرار وكثرة الجرائم وتلف الكثير من الممتلكات العامة حرقا ونهبا وتدميرا[20].

مثلت اسهامات ورؤى المرجع السيستاني تحديا مباشرا لاهداف قوات الاحتلال حيث كانت الولايات المتحدة تسعى ان توسع نفوذها وسيطرتها السياسية، الى جانب سيطرتها العسكرية وتفرض ارادتها بشكل مباشر، وازاء تلك التحركات لم يقف المرجع السيد السيستاني مكتوف الايدي ولم يتعامل بردة فعل بقدر ما كان يحمل رؤى وافكاراً عملية وواقعية، فمثلت تلك الاسهامات بأن يكون للعراقيين رأي في ادارة شؤون بلدهم وان لا تفرض عليهم سلطة الاحتلال اشياء لا يرغبون فيها، ووضع التصورات الاستراتيجية لبناء النظام السياسي من ضرورة كتابة الدستور والانتخابات بالاعتماد على رأي الشعب والعمل على تأسيس دولة مؤسسات، لذلك رفض المرجع السيد السيستاني قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية وعبر عنه انه لم يكتسب الشرعية الا بعد مصادقة الجمعية الوطنية المنتخبة، كما ان قانون المرحلة الانتقالية وفق رؤية المرجع السيد السيستاني في عوائق وعواقب تمنع كتابة الدستور الدائم الذي يحفظ جميع حقوق العراقيين[21]، حيث مثل هذا الرفض انتكاسة كبيرة للأهداف الامريكية، كما ان المتتبع لخطوات المرجع السيستاني يرى ان قد تعامل معهم بذكاء كبير فهو لم يطالب بدولة دينية او يطالب ان يكون له موقع في الحكم او لطائفته شيء خلاف القانون والدستور فما عبر عنه المرجع السيستاني من اسهامات وطروحات ان كانت على مستوى " ادارة الدولة وكتابة الدستور وشكل النظام السياسي " هي اهداف ومتبنيات تنادي بها الولايات المتحدة وانها عبرت ان غزوها للعراق جاء لتحقيق الديمقراطية وحقوق الانسان، لذلك تلك المتبنيات التي اطلقها المرجع السيستاني احرجت قوات التحالف الدولي لاتوجد لديهم حجه لرفضها كونها مبادئ واسس دولية

**متقدمة، وواصل المرجع السيستاني جهوده في الضغط على الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي، وقبيل اجتماع مجلس الامن الدولي الخاص بالعراق بعث المرجع السيستاني رسالة مكتوبة واضحة الاهداف والمطالب الى رئيس مجلس الامن الدولي يحذر فيها من خطورة اعطاء الشرعية لقانون ادارة الدولة للفترة الانتقالية، مبينا ان هذا القانون لايمثل الشعب العراقي وفيه مخاطر كبيرة على عملية نقل السلطة الى العراقيين ويعرقل كتابة دستور دائم ينظم ادارة الدولة، وعادا أي محاولة من مجلس الامن لاعطاء شرعية لهذا القانون يعد عملا مضادا وعدائيا على الشعب العراقي وستكون له نتائج خطيرة ومطالبا رئيس مجلس الامن الدولي ان يبلغ جميع اعضاء مجلس الامن برأي المرجعية الدينية بهذا الخصوص[22].**

**ومن اهم الاسهامات التي اصر عليها المرجع السيستاني هو العمل والضغط المباشر لانتزاع السلطة والهيمنة من القوات المحتلة وجعلها بيد الامم المتحدة، ومارس انواع الضغط سواء كان على المستوى الشخصي او الشعبي وحتى الدولي واستطاع بحنكة كبيرة من إعادة الامم المتحدة للعراق وممارسة دورها المطلوب فهو طوال بقاء الاحتلال لم يلتق بمسؤول من تلك القوات، فقط فتح التواصل مع الامم المتحدة عبر ممثليها او عبر رسائل مباشرة لامينها العام واعضائها الدائميين، لذلك الغطاء والدعم الذي انتجته مبادرات المرجع السيستاني اعطى زخماً ودافعاً الى الامم المتحدة لكي يكون لها دور رئيسي في عملية التحول الديمقراطي في العراق، وتوضح لنا الرسائل المرسلة من قبل المرجع السيستاني الى الامم المتحدة والتي اكد فيها ان المرجعية الدينية بذلت جهودا مضنية في سبيل عودة الامم المتحدة للعراق واشرافها على العملية السياسية واجراء الانتخابات العامة، ويؤكد المرجع السيستاني الى الامم المتحدة ان قانون ادارة الدولة للفترة الانتقالية هو قانون لا يمثل رأي الشعب العراقي، ولا يتمتع بتأييد معظم ابناء الشعب العراقي وما يؤكد ذلك استطلاعات الرأي وملايين التواقيع التي جمعت من الناس ترفض هذا القانون، وان رفض المرجع السيستاني والشعب العراقي لقانون ادارة الدولة كونه جاء من سلطة الاحتلال وانه يكرس الطائفية والعرقية في النظام السياسي ويؤدي مستقبلا الى التقسيم، وجدد المرجع السيد السيستاني**

مطالبته بضرورة صدور قرار من مجلس الامن الدولي يحدد فيه موعد الانتخابات العامة، ويحذر مجلس الامن من اعطاء شرعية لقانون ادارة الدولة الانتقالي، وايضا حذر الامم المتحدة ان لم يكن لها موقف واضح فانه سوف لن يتعاون معها في أي استشارة او أي موقف[23].

وقد كرر المرجع السيستاني مطالبة الامم المتحدة وتحميلها المسؤولية الكبيرة امام الشعب العراقي كونها هي المسؤولة عن توفير الغطاء الدولي لقوات الاحتلال بان تاخذ دوراً فعالاً في مساعدة العراقيين في الخروج من محنتهم والاشراف العام على العملية السياسية لحين استقرار الاوضاع[24].

ويجيب المرجع السيستاني ايضا عن سؤال لاحد الصحفيين : هل انتم موافقون على تواجد القوات الامريكية في بلدكم؟ فكان جواب المرجع السيستاني قطعيا برفض الاحتلال" كيف نوافق على الاحتلال، اننا نطالب بفسح المجال امام العراقيين ان يحكموا بلدهم بأنفسهم وتكون لهم السيادة الكاملة عليه"[25].

ويعرف المرجع السيستاني تواجد القوات الاجنبية في العراق بأنها قوات "احتلال" كما نص عليها قرار مجلس الامن[26].

رغم عدم قبول المرجع السيستاني بوجود الاحتلال لكنه لم يحرم او يمانع العمل معهم كمترجمين وعمال خدمة وكان جوابه عن سؤال قدم له بهذا الخصوص يجوز العمل معهم فيما يكون في مصلحة الشعب العراقي ولا تكريسا للاحتلال[27].

كما ان اهم الامور التي عبرت عن اسهامات المرجع السيستاني برفضه لتواجد قوات الاحتلال هو عدم استقباله لاي مسؤول سياسي او عسكري لاي من الدول المشاركة في احتلال العراق، وكان يرفض باستمرار أي طلب لقاء او أي وساطة تقوم بذلك، وتعامل بشكل مباشر مع الامم المتحدة كجهة دولية محايدة، وينفي مكتب المرجع السيستاني ان يكون له او لمن يمثله أي تواصل مباشر او غير مباشر مع القوات الاجنبية المتواجدة في العراق[28]، وكان الأمريكان يتمنون لقاء المرجع السيستاني ووسطوا الكثيرين لكن المرجع رفض ذلك رفضا قاطعا ولم يتعامل الا مع الامم المتحدة كونها جهة دولية محايدة.

**ثالثا:منهج المقاومة السلمية للاحتلال:-**

**ان دور المرجعية الدينية بعد الاحتلال الامريكي للعراق كان يختلف عن دور المرجعية بعد الاحتلال البريطاني للعراق سنة 1914م، حيث تحركت المرجعية بعد عام 2003م، باستراتيجية مدروسة لتمكين الشعب العراقي من اخذ زمام المبادرة في صنع مستقبله، وافهام ذلك لسلطة الاحتلال والمتعاونين معها، فعلى الرغم من رفضها المطلق لقاء أي مسؤول من الاحتلال، الا ان افكارها ومطالبها كانت تنقل لسلطات الاحتلال وخاصة عن طريق الامم المتحدة والسياسيين العراقيين[29]، ففي الوقت الذي اختلفت مسميات وتسميات العراقيين من النخب والسياسيين وغيرهم للقوات الامريكية الغازية حتى بلغ ان يسميهم البعض (الاصدقاء او القوات الصديقة) الا ان السيستاني كان قد عرفهم ومنذ البداية بقوات الاحتلال وقد كانت هذه التسمية نابعة من وضعهم القانوني في العراق وحسب قرار مجلس الامن رقم (1511)، وقد بعث برسالة الى كل العراقيين بعدم شرعيتهم عن طريق موقفه الرافض لمقابلة اي من القادة او الجنرالات الامريكان ومنهم الحاكم المدني بريمر، كما كان دائم الشعور والتعبير عن القلق من تواجدهم واهدافهم وتدخلاتهم وقد عبر غير مرة عن ضرورة ان يفسحوا المجال للعراقيين بان يحكموا انفسهم بانفسهم فضلا عن تصريحه بعدم تاييد بقائهم وابداء تذمره واعتراضه المتكرر من سوء معاملتهم للمواطنين ومايسببونه لهم من اعتقال وحوادث وقد كان يشير الى الفرق مابينهم وبين قوات تحت مظلة الامم المتحدة يمكنها بسط الامن في المرحلة الانتقالية وان كافة القوات متعددة الجنسية لاتختلف برأيه عن القوات الامريكية الغازية والمحتلة مالم تتحول تحت اشراف الامم المتحدة . الا انه يرى اتباع الاساليب السلمية في اعادة السيادة وتمكين العراقيين من حكم بلدهم من دون تدخل الاجنبي لافتا الى اساليب قوات الاحتلال في التعامل مع شتى الحوادث في المدن العراقية وداعيا الى معالجة الامور بحكمة والامتناع عن التصعيد بغية تجنيب العراقيين مزيدا من الفوضى واراقة الدماء والدمار[30].**

**ومع تواصل الانفلات الامني وخاصة بعد استهداف رجل الدين السيد عبد المجيد الخوئي في مدينة النجف وماصاحبها من عمليات اغتيال وتهديد لعدد من رجال الدين، وكذلك حالة الفوضى والسلب والنهب التي سيطرت على الاوضاع في العراق في ظل عدم وجود سلطة او قوة تمسك الامور، عاود المرجع السيد السيستاني من تكرار ادانته في لهجة اكثر حدة وحمل قوات الاحتلال بشكل مباشر السبب الرئيسي بما يحصل من تداعيات، ودعا لحفظ الامن والحريات وعدم التعدي على المراقد المقدسة، كما دعا ابناء العشائر والمخلصين من ابناء الشعب لتحمل مسؤوليتهم في المساهمة في حفظ الامن والاستقرار وحمايات المقدسات، محذرا من استمرار الفوضى في عموم البلاد[31].**

**وخلال بيانه حول استشهاد السيد محمد باقر الحكيم يحمل المرجع السيستاني قوات الاحتلال مسؤولية ما يشهده العراق من انفلات امني واستهداف للمراقد المقدسة والاماكن العامة ويدعو الى تعزيز دور القوات العراقية وتمكينها من تحقيق الامن[32].**

**يؤمن المرجع السيستاني بالمقاومة السلمية والتي تأتي بنتائج اهم واكبر من المقاومة والمسلحة وهذا المنهج استخدمه المرجع السيستاني بالتعامل مع قوات الاحتلال فهو لم يستقبل اي شخصية من دول الاحتلال رغم الوساطات والضغوطات وايضا حملة الاستهداف ومحاولة تغيير الحقائق تعامل مع تلك القوات بكل حكمة وحنكة عراقية لم تثنيهِ تلك المحاولات اليائسة، فحاول بوش لأكثر من خمس مرات لقاء المرجع السيستاني وبعث طلبات ورسائل بذلك لكن المرجع السيستاني لم يوافق، وان ايمانه بالمقاومة السلمية لا يعني تخليه نهائيا عن المقاومة المسلحة لكن في وقتها وفي ضرورتها وهذا ماتم حينما اعلن الجهاد الكفائي ضد تنظيم داعش الارهابي بعد احتلال الموصل[33]. ان مقاومة العراقيين للاحتلال لها اوجه كثيرة غير الوجه المسلح، والمقاومة بالموقف التي يبديها اية الله السيستاني احد اهم تلك الوجوه المقاومة[34].**

**فكانت سلطات الاحتلال " تدرك ذلك جيدا وتدرك أي مواجهة مع السيستاني قد تفضي الى مواجهة سياسية ليست في صالحها مع قوى شيعية، وربما الى مواجهة مسلحة". وقد سعى بريمر جاهدا للاتصال بمكتب السيد السيستاني لكنه لم يحصل**

على أية استجابة، فاعتمد في التعرف على آراء المرجعية على ما نقله له بعض السياسيين العراقيين وهذا ما أوقعه في الخطأ والاشتباه، وكان في عداد زوار السيد علي السيستاني خلال تلك الفترة اعضاء في مجلس الحكم ومجلس الاعمار وسائر المسؤولين في الحكومة العراقية، ومن هؤلاء من كان ينقل الى السيد علي السيستاني مواقف وآراء وتصورات سلطة الاحتلال وممثلها بريمر بتكليف منه أو من تلقاء انفسهم، وكان السيد السيستاني يعلق على ما يسمعه منهم في كل القضايا التي لها مساس بالمصالح العليا للشعب العراقي لقضية الدستور والانتخابات وقانون ادارة الدولة وتشكيل الحكومة المؤقتة وغيرها، واحيانا كان يتم الاتصال هاتفيا من مكتب السيد علي السيستاني ببعض المسؤولين العراقيين لتحذير سلطة الاحتلال من الاقدام على خطوة او استنكار امر ما وإدانته، وينفي مقربون من السيد السيستاني وجود "رسائل متبادلة" بين المرجعية الدينية والحاكم المدني بول بريمر مؤكدين أن عددا من زوار المرجعية الذين يسميهم بريمر بالوسطاء " لم يكونوا يحسنون تلقي ما يستمعون اليه من رؤى المرجعية وانظارها، او كانوا ينقلونها اليه بصورة مخففة في محاولة منهم حتى لا تسوء العلاقات، او كانوا ينقلون ما يتناسب مع ما يرونه صالحا للعملية السياسية"[35] رغم عدم الارتياح السياسي من تواجد القوات المحتلة في العراق ورغم الشعارات والغطاء الدولي الذي جاءت به، لكن ما بعد اسقاط نظام صدام، من مواقف واجراءات وعمليات عسكرية قامت بها القوات المحتلة، اسهمت بتزايد عملية المعارضة والقلق الداخلي العراقي، فحجم الانتهاكات التي قامت بها قوات الاحتلال اثرت على سمعتها وعدم تعاطف الناس معها رغم اسقاط صدام، وشكلت تلك الانتهاكات والتجاوزات سواء كانت في النجف الاشرف او كربلاء او الفلوجة وبغداد وسجن ابو غريب شكلت عاملاً سلبياً على تأليب الرأي العام العراقي بالضد من تواجد تلك القوات[36].

لقد امتازت الاسهامات والرؤى الفكرية التي يؤمن بها المرجع السيستاني هو الايمان بمنهج المقاومة السلمية، وهذا المنهج استمر عليه طيلة تواجد القوات الاجنبية فهو لم يدعُ لحمل السلاح ومواجهة الاحتلال لانه كان ينظر بعمق ستراتيجي وعمل على

تهيئة الارضية السياسية والاجتماعية لاخراج الاحتلال دون قتال وضحايا وفوضى لا سيما العراق لم ينفك عن الحروب والازمات، لذا يرى المرجع السيستاني ان من يقومون بأعمال عنف واستهداف العراقيين من مدنيين ورجال شرطة وجيش ومؤوسسات دولة ان هؤولاء هدفهم عدم استقرار الامن في هذا البلد وهم يساهمون في اطالة امد الاحتلال، والاضرار بمصلحة الشعب العراقي، كما يرى ضرورة التزام دول الجوار بمساعدة العراق وعدم التدخل في شؤونه الداخلية وضبط الحدود[37]، بعد ان استطاع المرجع السيستاني من تعبئة الجماهير لتكون مؤازرة للضغط الذي يمارسه تجاه السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة حيث نتيجة ذلك الضغط غيرت واشنطن اتجاهها 180 درجة وقدمت استقالات متعددة لمختلف قياداتها وتم استبدال الفريق الخاص عن اعادة اعمار العراق[38]، ويتفق بعض الباحثين مع رؤية المرجع السيستاني من ان بعض اعمال العنف التي يستخدمها البعض بحجة مقاومة الاحتلال، تخرب مؤسسات الدولة وتمنع الاستقرار وتطيل عمر الاحتلال ولا يمكن عدها مقاومة ما دامت تستهدف المواطنيين ومؤسسات الدولة وتؤدي الى عدم الاستقرار، فبدلا من استهداف المحتل باتت تسهدف وبكثافة الحكومة واجهزتها والمواطنيين، ومن ثم تطورت الى نشر الفوضى والارهاب في مناطق مهمة في الاراضي العراقية، وان تلك الاعمال لا يمكن اعتبارها مقاومة بل ارهاب واضح والمقاومة الشريفة لا تستهدف الا المحتل، ان الخراب الذي عم بالبلد وهجرة ابنائه وتعطيل اقتصاده وشل الاستثمار وعشرات الشهداء والجرحى يوميا، لا يمكن الا ان يكون ارهابا حيث باتت مايقارب 95% من العمليات التي يصور انها تستهدف المحتل اصبحت تستهدف العراقيين ومؤسساتهم، ومزقت اللحمة الوطنية العراقية[39]، كما يعتقد البعض أي ان مشروع لمقاومة المحتل لابد ان يكون مقاومة وطنية وفق قاعدة تسعى الى تجميع الامة ولملمة حضوضها وكل ما عدا ذلك فهو مشروع حرب اهلية[40].

فعندما طرح بريمر خطته لجدول العملية السياسية من قانون ادارة مؤقت ونظام الجمعيات الانتخابية وتعيين لجنة لكتابة الدستور وايضا كان موعد تسليم السيادة يقترب، فرفضة المرجعية خطته تلك واصر عليها وحاول ان يؤثر على القرار بالرفض

**ومقدما بعض الامتيازات والتعهدات واصرارنا على رفض خطته هددنا وقال سأظهر للشعب واقول بعض القوى لا تريد عودة السيادة. ونتيجة لضغوط بريمر على بعض القوى والشخصيات وافق مجلس الحكم على خطته والتي سميت "اتفاق 15 تشرين" ولم يعارضه سوى انا(عادل عبد المهدي) وواحد او اثنان معي من اعضاء مجلس الحكم فكانت نتيجة التصويت لصالح الاتفاق، وكان لي اتصال مع مكتب المرجع السيستاني وضحت فيه ملابسات الموضوع وكيف جرت الامور خلاف الاتفاق واصدرنا بياناً صحفياً اكدنا فيه ان زيارتنا الى المرجع الاعلى السيد السيستاني "انا(عادل عبد المهدي) والشيخ الصغير" في يوم الخميس الموافق 14/11/2003, لم تتضمن اطلاع سماحة المرجع على الاتفاق الذي صوت عليه مجلس الحكم والذي نص على انهاء الاحتلال ونقل السيادة، وبعد موقف المرجعية المشرف برفض ذلك الاتفاق لانه يحول دون اجراء الانتخابات ويمنع او يؤخر كتابة دستور دائم، فكانت الجلسة ما بعد التصويت على الاتفاق برئاسة السيد جلال الطالباني تحدث عن اننا كمجلس حكم اتفقنا على شيء وصوتنا على شيء اخر واننا امام مخاطر انقسام خطير ونحن نمثل شعباً ينتظر منا دور مسؤول وحكيم، وطرحنا اننا كمجلس اعلى سننسحب من مجلس الحكم ونتيجة لأصرارنا وضغطنا تم تشكيل لجنه لإعادة التفاوض مع الامريكان[41].**

**ان اعتراض المرجع السيستاني على الية الانتخابات التي طرحتها سلطة الاحتلال جاء بسبب ان اجراء الانتخابات عبر سلسلة معقدة من المؤتمرات المحلية تسمح بنفوذ امريكي كبير، وعارض ايضا المرجع السيستاني تشكيل أي لجنة لكتابة الدستور الا ان تكون منتخبة لا بالتعيين[42].**

**ونتيجة لضغط السيستاني المتزايد صدر قرار الامم المتحدة ذي الرقم 1511 والذي فوض بموجبه الولايات المتحدة الامريكية بنقل السلطة الى حكومة عراقية منتخبة بحلول كانون الاول 2003م، حيث قدم الحاكم الاميركي بول بريمر خطته في الثامن من ايلول عام 2003م وتضمنت اهم مايلي[43]:**

**1- كتابة دستور من خلال لجنة غير منتخبة**

2- اجراء استفتاء على الدستور

3- اجراء انتخابات عبر "مؤتمرات محلية".

لقد رضخت الادارة الامريكية واتخذت عددا من التراجعات نتيجة ضغط مرجعية السيستاني والقوى المؤيدة له، اذ قدمت سلطات الاحتلال من هدف الانتقال من الحكم المباشر للعراق الى وضع خطة لنقل السلطة للعراقيين، حيث حاولت حكم العراق بصورة مباشرة عند تعيين "بول بريمر" حاكما مدنيا بدلا من الحاكم العسكري "جاي كارنر " ثم اعلنت عن تأسيس مجلس الحكم الانتقالي بصلاحيات محدودة، ووضعت مراحل للعملية السياسية وفق فترات زمنية جرى ابلاغ الامم المتحدة عنها وحسب التسلسل[44] :-

1- تشكيل مجلس الحكم المؤقت بصلاحيات محدودة.

2- تشكيل مجلس وطني بالاختيار والتعيين بعدد 100 شخص.

3- تشكيل حكومة مؤقته من المجلس الوطني المؤقت.

4- اجراء انتخابات الجمعية الوطنية في 30 كانون الثاني تحت اشراف الحكومة المؤقتة.

5- انتقال الحكومة المؤقتة وتشكيل حكومة تقرها الجمعية الوطنية.

6- تشكل الجمعية الوطنية لجنة لكتابة الدستور

7- تقر الجمعية الوطنية الدستور وتعرضه على الاستفتاء العام في 15تشرين الاول 2005م.

8- اجراء الانتخابات الثانية في 15 كانون الاول 2005م بهدف تشكيل مجلس نواب مدته اربع سنوات وفق الدستور.

وفي اطار ضغط المرجع السيستاني صدرت العديد من القرارات من مجلس الامن الدولي، والتي رسمت الخطوات التي ينبغي إتباعها من اجل أيصال العراق الى تبني نظام سياسي ديمقراطي تعددي فيدرالي، ومن هذه القرارات[45]:

1- القرار رقم (1483) الصادر في 22 /5/, 2003، وهو الذي جاء بعد انتهاء العمليات العسكرية واسقاط نظام صدام حسين، وجاء

في القرار ضرورة محاسبة رموز النظام السابق واعطاء حرية للشعب العراقي في تحديد مستقبله السياسي.

2- القرار رقم (1511) الصادر في 16 / تشرين لاول/2003، وهو الذي اذن بتشكيل قوات متعددة الجنسيات تحت قيادة موحدة وتعمل على تحقيق الامن في العراق.

3- القرار رقم ( 1546) الصادر في 8/ حزيران/ 2004، رحب بأنشاء حكومة مؤقتة وانهاء سلطة الاحتلال.

4- القرار رقم ( 1538) الصادر في 21/ نيسان/ 2004.

5- القرار رقم ( 1557) الصادر في 12/ اب/ 2004.

6- القرار رقم ( 1500) الصادر في 14/ 8/ 2003 الذي رحب بأنشاء مجلس الحكم.

7- القرار (1637) الصادر في 8/ تشرين الثاني /2005، مدد بقاء لقوات المتعددة الجنسيات لمدة 12 شهر بناءً على طلب الحكومة العراقية.

8- القرار (1700) الصادر في 10/اب/2006.

9- القرار رقم (1859) الذي اصدره مجلس الامن في 22/ 12/ 2008 والذي اعلن من خلاله انتهاء التفويض الممنوح لبقاء القوات الاجنبية في العراق في 13/12 /2008[46].

فأضافه للدعم والتأييد الذي حظيت به مبادرات واسهامات المرجع السيستاني من مراجع النجف الاشرف فضلا عن الشعب العراقي، ايضا يتفق المرشد الاعلى للثورة الاسلامية في ايران السيد علي الخامنئي مع المرجع السيستاني برفضه للاحتلال الامريكي للعراق، ويرى ان ثمة اهداف مخفية للولايات المتحدة الامريكية من هذا الاحتلال، وليس كما يطلقون من شعارات واهداف، ويرى ان جوهر ذلك الاحتلال هو لتقوية النفوذ الامريكي والصهيوني في المنطقة، ويجيب السيد الخامنئي عن سؤال وجه له : هل الشعب الايراني مسرور من زوال حكم صدام وحزب البعث ؟ حيث يرد

قائلا " انه مسرور حتما، يقصد الشعب الايراني فمنذ عشرين عاماً والشعب الايراني ينادي الموت للمنافقين وصدام، وها هو قد تحقق بصدام، وان سرورنا في هذه القضية هو كسرور الشعب العراقي وموقفنا هو موقف الشعب العراقي تماما، فالشعب العراقي مسرور لزوال صدام، وكذا نحن مسرورون لزوال صدام، فصدام دكتاتور ظالم لا عهد له ولا ميثاق وفي غاية الشر، فقد كان مستبدا في حكمه على الشعب، وكان غاية السوء بالنسبة لشعبه، وجار السوء بالنسبة لنا "، ويرى ان الموافقة والسرور بسقوط صدام ليس معناه موافقة وقبول الاحتلال فالشعب العراقي كان يهتف الموت لصدام وبوش[47].

## رابعا:الاخطاء الامريكية في العراق:-

تشير وزيرة الخارجية الامريكية "كونديزارايس" ان الادارة الامريكية ارتكبت اخطاء بقصد او دون قصد اثناء الحرب على العراق واشارت الى اهم الاخطاء[48]:

1. عدم مراعاة الولايات المتحدة مسؤوليتها بوصفها دولة محتلة للعراق، تقع على عليها مسؤولية مراعاة تنفيذ معاهدات جنيف، الا انها غضت الطرف عن عمليات تدمير المؤسسات وعمليات النهب والفوضى واطلقت سراح السجناء واللصوص والمجرمين.
2. انهاء المواطنة العراقية اذ اصبح خطاب الادارة الامريكية يتكلم عن تكوينات الشعب العراقي وليس عن شعب عراقي بل ورسخت العملية السياسية على هذا الاساس.
3. تدمير البنية التحتية للعراق نتيجة الاحتلال ادى الى فقدان الشعب لابسط الخدمات الاساسية.

ويشير احد الكتاب ان اهم الاخطاء التي وقعت بها قوات الاحتلال وادت الى اتساع نطاق المعارضة والممانعة لها من قبل العراقيين هي[49]:

1. التدخل المباشر بالعملية السياسية وتجاهل السلطة الشرعية للعراقيين.
2. سيطرة وهيمنة الجيش الامريكي على الملفات الامنية والاقتصادية.
3. تجاهل الادارة المحتلة للشرعية الدولية وانفرادها بمعالجة شؤون العراق دون اشراك الامم المتحدة والقوى والمنظمات الدولية.

كما يرى محمد حسنين هيكل، ان ادارة بوش قد طرحت اهدافا مختلطة ببعضها الى درجة غيبت عنها اليقين، ومثلت تلك الاهداف[50]:

1- ان اسقاط النظام في العراق جزء اساس من الحرب على الارهاب .
2- يجب معاقبة النظام في العراق لانه مصدر تهديد لجيرانه .
3- ان النظام في العراق طغى واستبد بشعبه ومن اجل مصلحة الشعب العراقي يجب اسقاطه.
4- ان العراق يمتلك اسلحة دمار شامل .

ووفق تلك الاهداف يعتقد هيكل ان غزو العراق فرصة تاريخية لامريكا للسيطرة على مركز الدائرة "في بغداد" ليكون النقطة الثابتة في الدائرة الاوسع المحيطة به، وايضا لتصفية ما تبقى من مواقع المقاومة في ايران وسوريا دون الحاجة لاستعمال السلاح، وبوجود القوات الامريكية في العراق يعني محاصرة ايران من ناحيتين من جهة افغانستان المحتلة امريكيا ومن ناحية العراق، واما سوريا فسيكون وضعها صعباً بوجود قوات امريكية في العراق، ويرى ان في ذلك الاحتلال خريطة جديدة " مثالية تماما للشرق الاوسط " تقوم الولايات المتحدة "بتشكيلها "و "رسمها "و تنظيفها من جيبوب كارهة لامريكا"[51]، ومن المشاكل التي انتجتها الولايات المتحدة في العراق بعد احتلالها انها لم تكن امينة على المال العراقي، من حيث اليات الصرف المالي والحسابات الختامية والتدقيق، فكانت هناك مؤشرات فساد كبيرة في الاموال التي خصصتها الامم المتحدة للعراق من الاموال المجمدة لصالح الشعب العراقي، كذلك الاموال التي خصصتها الولايات المتحدة الامريكية لاعمار العراق، فكانت الاموال تاتي من خلال الطائرات للحاكم العسكري والمدني بطريقة مباشرة، وتصرف دون حساب او تدقيق، حيث

تشير بعض التقارير ان مجموع الاموال التي تم صرفها بطريقة غير معروفة خلال فترة حكم الحام العسكري والمدني الامريكيين، قد تصل الى 52 مليار دولار، حيث لم يتم تعيين محاسبين ومدققين حسابات حتى شهر نيسان 2004م، ولم يسمح لاي احد معرفة او رؤية حسابات سلطة الاحتلال، كما ان المقاولات والمشاريع كانت تعطى بدون أي مواصفات او شروط، ولم يتم اكمال الكثير من تلك المشاريع المصروفه اموالها بحجة عدم توفر الامن[52] .

ويمكن الاشارة الى القوات المشاركة في الحرب على العراق في بداية عام 2003.[53]

1- الولايات المتحدة 250 الف 73%
2- بريطانيا 45 الف 15%
3- كوريا الجنوبية 3500 9%
4- استراليا 300 1%
5- الدنمارك 200 1%
6- بولندا 184 1%

وقد بلغت خسائر الولايات المتحدة بحسب احصاءات وزارة الدفاع الامريكية "البنتاغون" منذ التاسع عشر من شهر اذار عام 2003م، حتى 31 اب من العام 2010، مع انسحاب اخر دفعة من القوات القتالية من العراق مايلي[54]:

1- عدد القتلى 3492
2- عدد الجرحى 32000

- الخسائر المادية 802 مليار دولار نفقات الحرب.

وفي الجانب الاخر هناك من يرى انه لولا امريكا لترسخ حكم صدام حسين ولاستمر يذبح المعارضين والوطنيين ومراجع الدين واي شخص يعارض الحكم او لم يكن مؤيداً لسياسته، حيث يعتقد البعض ان صدام حسين كان يؤسس لمملكة خاصة به ليستمر حكم عائلته، وحينها سيستمر قطع الالسن وبتر الاذن والايادي والارجل ولاستمرت المقابر الجماعية والحروب العبيثية، والتردي المستر في الواقع الصحي والخدمي والتعليمي[55].

**خامسا:-انسحاب قوات الاحتلال :**

**مارس المرجع السيستاني ضغوطا مختلفة على المستوى السياسي والدولي والجماهيري مستخدما كل انواع الضغط والنفوذ المشروعة من اجل انهاء وجود القوات الاجنبية في العراق، ومثلت اسهاماته في طرح الاراء التي كانت المدخل المهم لانهاء ذلك التواجد، حيث اكد انه يجب ان يكون انسحاب القوات الاجنبية وفق اتفاقية مع الدولة العراقية، ويكون الاساس في تلك الاتفاقية ان تبنى على اسس سيادة واستقلال العراق وحماية مصالحه العليا حاضرا ومستقبلا، وان تحضى اتفاقية سحب القوات الاجنبية بقبول وموافقة الشعب العراقي بمختلف التوجهات، وان لا تمثل تلك الاتفاقية خلافاً وفرقة بين ابناء الشعب الواحد، وحمل المرجع السيد السيستاني مجلس النواب العراقي مسؤولية تاريخية امام الله تعالى وامام الشعب العراقي، بان يحفظ مصالح العراق العليا في تلك الاتفاقية وان يكون له دور في ان تكون ملبية لطموحات الشعب العراقي[56].**

**ويوضح عادل عبد المهدي انه من عام 2005 سنويا يتم التجديد للقوات الامريكية وطلب التجديد يرسل الى الامم المتحدة وبحلول عام 2007 بدا البحث عن اتفاق انسحاب لتلك القوات وحسب عضويتي في مجلس الامن الوطني عندما كنت نائباً لرئيس الجمهورية الطالباني تم طرح موضوع تنظيم اتفاق انسحاب مع الامريكان وتم تكليفي من قبل مجلس الامن الوطني بشكل رسمي لعمل ذلك الاتفاق وتقديم رؤية متكاملة له، فتم تشكيل فريق كبير معي وأعددنا ملفا كبيرا فيه خيارات واحتمالات ووضعنا التصور الكامل قانونيا وسياسيا ...الخ لذلك الاتفاق وعندما انتهينا تم تحويل الملف الى الحكومة بطلب رسمي من رئيس الوزراء نوري المالكي، وعندما تم عرض موضوع اتفاقية الانسحاب في مجلس النواب للتصويت هناك من كانت لديه شروط ومطالب منها القبول بقانون العفو وغيرها من الامور حتى يصوتون على الاتفاقية[57].**

**اثمرت اسهامات المرجع السيستاني من خلال ضغطه على الامم المتحدة وعلى الحكومة العراقية وايضا على مجمل القوى السياسية والاجتماعية في تحشيد الجميع**

لرفض بقاء قوات الاحتلال، وعدم التعامل معهم لاطالة بقائهم، فمثلت بياناته وطروحاته ومواقفه التي رفض فيها وجود الاحتلال من اليوم الاول بعد عام 2003م، فكان دوما يدعو لتمكين العراقيين من حكم وحفظ امن بلدهم، كل تلك الاسهامات انتجت الاسراع بعقد اتفاقية امنية بين الحكومة العراقية والقوات الاجنبية تضع جدولا زمنيا لخروج قوات الاحتلال، وايضا اخراج العراق من البند السابق عندما تعود له السيادة الكاملة، حيث وضع المرجع السيستاني شرطين على الاتفاقية الامنية قبل التوقيع عليه[58]:

* الشرط الاول : ان تحفظ مصالح العراق العليا في حاضره ومستقبله وترجع السيادة بالكامل وتحقق الامن .

* الشرط الثاني : ان تحصل على التوافق الوطني العراقي وتأييد مختلف مكونات الشعب العراقي وقواه السياسية الرئيسية محملا ومحذرا ممثلي الشعب العراقي في مجلس النواب بأنهم يتحملون المسؤولية الكبرى في ان تحافظ اتفاقية انسحاب القوات الاجنبية على سيادة العراق سياسيا وامنيا واقتصاديا، واي خلل فيها سيتسبب بمزيد من المعانة على الشعب العراقي.

ونصت ديباجة اتفاق انسحاب القوات الامريكية "إن جمهورية العراق و الولايات المتحدة الأميركية إذ يقران أهمية تعزيز أمنهما المشترك والمساهمة في السلم والاستقرار الدوليين ومحاربة الإرهاب في العراق والتعاون في مجالات الأمن والدفاع، لردع العدوان والتهديدات الموجهة ضد سيادة وأمن ووحدة أراضي العراق ونظامه الديمقراطي الاتحادي الدستوري؛ وإذ يؤكدان أن مثل هذا التعاون مبني على أساس الاحترام الكامل لسيادة كل منهما وفق أهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة؛ ورغبة منهما في التوصل إلى تفاهم مشترك يعزّز التعاون بينهما؛ دون تجاوز سيادة العراق على أرضه ومياهه وأجوائه؛ وبناءً على كونهما دولتين مستقلتين متكافئتين ذواتي سيادة"[59] حيث يتكون الاتفاق على ثلاثين مادة مفصلة على محاور وأليات عمل وتنسيق مرحلية واستراتيجية.

**سادسا:-موقف الاحتلال من المرجع السيستاني:**

**نرى من الضرورة ان نتطرق لموقف الاحتلال من طروحات واسهامات المرجع السيستاني، واثرها على اهدافهم وسلوكهم وكيف اجهضت مشاريعهم التي لم يتوقعوا ان تكون هناك ممانعة ومعارضة وطنية بهذا الحجم والفهم، وان اهم مصدر يمكن ان نستخلص منه مواقف الاحتلال من المرجع السيستاني هو قراءة وتحليل ما كتبه الحاكم المدني الامريكي في كتابه " عام قضيته في العراق" والذي فيه الكثير من التفاصيل والمواقف المهمة والتي تعطي انطباعا عن حجم الارباك الذي مرت به قوى الاحتلال في فترة تأسيس النظام السياسي بعد 2003م، على الرغم من المحاولات الاستعراضية والايهامية التي بالغ بها الحاكم المدني من اجل تقلل الضرر الذي لحق به كشخص وكمشروع احتلال، حيث يؤكد مصدر في مكتب المرجع السيستاني تعقيبا على مذكرات بريمر، ان بريمر قد وقع في خطأ عندما تصور انه لديه تواصل مع المرجعية حيث ان المرجعية وفي اكثر من مناسبة اعلنت بشكل واضح ومباشر انها لا تستقبل أي مسؤول من الاحتلال ولا تقبل أي تواصل مباشر وغير مباشر رغم الوساطات والضغوطات والطلبات[60]، ويعتقد مصدر مكتب المرجع السيستاني، ان بريمر تصور ما ينقله بعض الساسة وممثلي الامم المتحدة من رؤى وطروحات وبيانات عن المرجع السيستاني على انه رسائل مباشرة للولايات المتحدة، وهذا ليس دقيقا، ويؤكد الخفاف في كتابه النصوص الصادرة بعد تدقيق واستخلاص كتاب بريمر وعرضه على مكتب المرجع السيستاني جاء الجواب " ان ما اورده بريمر في مذكراته عن رؤى سماحة السيد دام ظله ومواقفه السياسية هو في الغالب غير دقيق او غير صحيح، وورد احيانا بصورة مشوهة او مجتزئة"، ويؤكد على ان أي مسؤول امريكي لم يكن له أي تواصل مع المرجعية وكانوا يتعرفون على اراء المرجعية عبر ما ينقله القادة السياسيون حينما يزورون المرجع السيستاني او من خلال البيانات المكتوبة التي تصدر من مكتب المرجع[61]، ويرى ان مايؤكد ان رؤى المرجعية قد ادت الى افشال خططه**

الاولية وواجهه بسببها عوائق واخفاقات كبيرة ومتكررة، وشعر بالاحباط الكبير نتيجة ذلك.

ويستشهد المصدر بما كتبه بريمر بمذكراته في احدى رسائله لزوجته "يا له من يوم مريع، ربما تتطور هذه الازمة لتنهي عملي لانني لا استطيع ان اتصور الان ان الادارة ستخلص انها لا تستطيع تحقيق اهدافها معي، اذ لم اتمكن من تنفيذ أي من خطتي رغم ذلك بسبب السيستاني في كلا الحالتين، لذا قد وصلنا الى نهاية اللعبة وحان وقت استبدال الرامي، ويجدر بالرامي الجديد ان يكون متخصصا"، ان تلك الاعترافات تؤكد وبشكل منطقي ان اثر المرجع السيستاني كان كبيرا في احباط مخططات الاحتلال[62]، وان مزاعم بريمر انه لديه تواصل مباشر عبر قنوات خاصة مع المرجعية، ماهو الا كلام لايمكن ان يستند الى دليل علمي ومنطقي ولو كان ذلك ممكن لنشر بريمر جزء من تلك الرسائل والوثائق او ذكر لنا اسماء الوسطاء فكل تلك الذكريات الحرفية والتفاصيل اليومية ذكرت ودونت الا الرسائل والتواصل مع المرجعية لا دليل ولا وثيقة له، فهو يبقى فقط ادعاء لا اساس له والغرض منه التشويش وتقليل الخسائر التي تعرض لها بريمر وسلطة الاحتلال نتيجة اسهامات ورؤى المرجع السيستاني[63].

**الخاتمة:**

الملاحظ من بيانات واسهامات المرجع السيستاني من وجود الاحتلال، نجد ان مراقبته لتلك السلطات مثلت صمام الامان لمصالح الشعب العراقي فهو بحق قد اجهض المشاريع الاستراتيجية لقوى الاحتلال التي خططت لعراق يختلف تماما عما اصر عليه وعمل على وضع الاسس الصحيحة له ولعل تلك الاسهامات تحدٍ عملي لتلك القوات وعملت بشكل او بأخر الضغط والمناورة ولم تفلح بتغيير قناعات المرجع السيستاني من ان العراق يجب ان يكون تحت تصرف ابنائه هم يقررون كيف يكون وكيف يحكم، وكان المرجع السيد السيستاني المرشد الناصح لكل العراقين في تلك المرحلة التأسيسية التاريخية غير ان عددا من القوى السياسية لم تكن راغبة

**بخطواته ضد الاحتلال لانها كانت تجامل قوى الاحتلال للحصول على مكاسب شخصية او حزبية او فئوية..**

**ويمكن استخلاص اهم النقاط التي اسهم بها المرجع السيستاني في مواجهة الاحتلال...**

**1- ساهم المرجع السيستاني في مسك الجماهير وضبط ايقاع الشارع العراقي**

**2- لم يتعامل مع الاحتلال ورفض التواصل معهم او اللقاء بقياداتهم**

**3- رفض بشكل مستمر اسلوب ادارة الاحتلال امنيا وسياسيا**

**4- اصر على رفض مخططات الاحتلال من تعيين حكومة وكتابة دستور وغيرها.**

**5- استطاع تدويل القضية العراقية وسحب السلطة من الاحتلال**

**6- اعادة السلطة للشعب من خلال اصراره على الانتخابات وكتابة دستور بأيدي عراقية.**

**7- قاوم الاحتلال سلميا وفق مقاومة مدروسة.**

**8- اعترفت قوى الاحتلال بقوة ومكانة المرجع السيستاني ورضخت الى مطالبه**

**9- كان له الدور الكبير في اخراج قوات الاحتلال من العراق.**

**الهوامش**

[1] ماجد محمد خورشيد الداوودي، هموم الشعب العراقي الاقتصادية والاجتماعية والخدمية في ظل الاحتلال الامريكي للعراق "حقائق ومعالجات"، شركة الديوان للطباعة، بغداد ط 1, 2012م، ص 1

[2] ليام اندرسن، غاريت ستا نسفيلد ، عراق المستقبل "دكتاتورية، ديمقراطية ام تقسيم"، ترجمة رمزي ق. بدر، مراجعة وتقديم وتعليق ماجد شبر، دار الوارق للنشر، ط 1 2005، لندن، ص 161

[3] مصطفى غيثان، السياسة الخارجية الامريكية حيال العراق "حاضر مستقبل ومستقبل الحاضر"، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط بلا 2014, بغداد، ص 172.

[4] فيجيني بريما كوف، العالم بعد 11 سبمتبر وغزو العراق، تعريب عبد الله حسن، مكتبة العبيكان للنشر، ط 1 2004م، الرياض السعودية، ص 167–170

[5] مجموعة مؤلفين، عشرة سنوات هزت العالم عقد على احتلال العراق 2003–2013، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ط 1 2015، بيروت لبنان.ص 544

[6] مصطفى غيثان، السياسة الخارجية الامريكية حيال العراق "حاضر مستقبل ومستقبل الحاضر،مصدر سبق ذكره، ص 173

[7] حامد البياتي، سقوط الشيطان "خطط امريكا وخطط المعارضة العراقية لاسقاط صدام حسين ومستقبل العراق"، دار بلا، مطبعة بلا، ط 1, 2003م، ص 148.

[8] جون لي اندرسن، سقوط بغداد، مصدر سبق ذكره، ص 65

[9] ليام اندرسن، غاريت ستا نسفيلد ، عراق المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص 175

[10] جورج دبيلو بوش، مذكرات جورج دبليو بوش"قرارات مصيرية"، ترجمة سناء حرب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 1, 2012، بيروت _لبنان، ص 337_342.

[11] جاريث ستانسفيلد، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ط 1، 2009، ص 182

[12] فيبي مار، عراق مابعد 2003م، ترجمة مصطفى نعمان احمد، مطبعة دار المرتضى للنشر والتوزيع، مطبعة دار امل الجديد، دمشق سوريا، ط بلا، 2013م، ص 29

[13] محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي خط المقاومة في العراق "التاسيس والاستشراق"، مركز العراق للدراسات، مطبعة الساقي للنشر والتوزيع، ط 1, 2013، ص 36

[14] حامد الخفاف، النصوص الصادرة، مصدر سبق ذكره، ص 12

[15] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 29محرم، 1424هـ.

[16] رشيد الخيون، 100 عام من الاسلام السياسي ب العراق " جزء الشيعة"مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط 3, 2013م، الامارات العربية، ص 134

[17] علي السيستاني، بيان من مكتبه في النجف الاشرف، 10 صفر 1424هـ

[18] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 5شعبان 1425هـ، 21/9/2004م،

[19] علي السيستاني، جواب على اسئلة صحيفة نوفيل او بزرفاتر الفرنسية، النجف الاشرف 1رجب 1424هـ

[20] علي السيستاني، جواب على اسئلة مجلة دير شبيجل الالمانية، 24 ذي الحجة 1424هـ، انظر ملحق رقم

[21] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 16 محرم 1425 هـ

[22] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 6/6/2004م

[23] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 27 محرم 1425 هـ، 19/3/2004

[24] علي السيستاني، جواب على اسئلة مجلة دير شبيجل الالمانية،مصدر سبق ذكره.

[25] علي السيستاني، اسئلة مجلة بولندا الاسبوعية، 29 رجب ذ 1424 هـ النجف الاشرف

[26] المصدر السابق نفسه

[27] علي السيستاني، الموقع الرسمي، جواب على اسئلة الاستفتائات، مصدر سبق ذكره

[28] حامد الخفاف، النصوص الصادرة، مصدر سبق ذكره، ص 19.

[29] محمد بديوي الشمري، تحولات الاسلام السياسي في العراق، منتدى المعارف للطبع والنشر، ط 1, 2011م، بيروت لبنان، ص 75.

[30] عامرة البلداوي، مواقف السيد السيستاني في ظل وجود الاحتلال الامريكي، بحث منشور في الانترنت

[31] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 1 صفر 1424هـ.

[32] حامد الخفاف، النصوص الصادرة، مصدر سبق ذكره، ص 65

[33] جواد الشهرستاني، لقاء مع الباحث، مصدر سبق ذكره

[34] خير الدين حسيب، العراق من الاحتلال الى التحرير"طبعة موسعة"من مستقبل العراق، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 2006، بيروت لبنان، ص 158

[35] راجي نصير دوارة،، خطاب المرجعية الدينية في النجف الاشرف وأثره في الرأي العام العراقي بعد عام 2003 ، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العلمين للدراسات العليا – النجف الاشرف قسم الدراسات السياسية،2015،ص 146 –147

[36] خالد عيسى طه، العراق ومسيرة الدم "الطريق الى الحرية "، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1, 2010، بيروت –لبنان، ص 318.

[37] علي السيستاني، جواب على اسئلة مجلة دير شبيجل الالمانية، 24 ذي الحجة 1424هـ.

[38] ميلان راي، الحرب على العراق نظام لم يتغير، تعريب زينه مشوري، شركة الحوار الثقافي، ط 1 2005، لبنان، ص 328

[39] جابر حبيب جابر، الانسداد السياسي الاستبداد وحلم الديمقراطية في العراق"، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1, 2015، ص 222–224.

[40] احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق جذور راسخة وواقع متغير، دار اكيودي للثقافة، ط 1., 2014م، لبنان – بيروت، ص 287

[41] عادل عبد المهدي، لقاء مع الباحث، 2016.

[42] فيبي مار، عراق مابعد 2003م، مصدر سبق ذكره، ص 48–49

[43] فيبي مار، عراق مابعد 2003م، مصدر سبق ذكره، ص 47

[44] مصطفى غيثان، السياسة الخارجية الامريكية حيال العراق "حاضر مستقبل ومستقبل الحاضر"، مصدر سبق ذكره، ص 179–180

[45] محمد عبد الحمزة خوان، النظام السياسي العراقي ما بعد 2003، الطبيعة، التوجهات، التحديات، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة على كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد، 2008، ص 82

[46] تقدم بمشروع القرار كل من امريكا وبريطانيا وصدر بالأجماع في الجلسة رقم (6059) وصدر بموجب الوثيقة الرسمية رقم (S/RES/1859/2008).

[47] محمود الهاشمي، موقف الامام الخامنئي من العملية السياسية في العراق، مطبعة البينة، 2011، ط بلا، النجف الاشرف، ص 54–60.

[48] مصطفى غيثان، السياسة الخارجية الامريكية حيال العراق "حاضر مستقبل ومستقبل الحاضرمصدر سبق ذكره، ص 190

[49] المصدر السابق نفسه، ص 185.

[50] محمد حسنين هيكل، الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق، دار الشروق، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، ط، 1 2003م، القاهرة، ص 399–2398.

[51] المصدر السابق نفسه.

[52] جمال عبد الله، العراق بين التحرير والتدمير، دار الحكمة للنشر والتوزيع، مطبعة المتحدة، ط 1, 2011م، ص 102–103.

[53] مصطفى غيثان، السياسة الخارجية الامريكية حيال العراق "حاضر مستقبل ومستقبل الحاضرمصدر سبق ذكره، ص 173

[54] المصدر السابق نفسه، ص 195.

[55] مرتضى الشحتور، المغامرة الديمواقراطية في العراق "مقالات تسلط الضوء على المشهد السياسي واللاعبين الهواة والمحترفين في الزمن الراهن"، الناشر بلا، مطبعة بلا، ص 2

[56] علي السيستاني، بيان صادر من مكتبه في النجف الاشرف، 18/11/2008

[57] عادل عبد المهدي، لقاء مع الباحث، مصدر سبق ذكره

[58] علي السيستاني، الموقع الرسمي، مصدر سبق ذكره

[59] نص الاتفاق الانسحاب الامريكي، للاطلاع الموقع الرسمي الامانة العامة لمجلس الوزراء العراقي، https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=4&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwjTx7ru_ZbQAhUBFSwKHXDPCfcQFgg2MAM&url=http%3A%2

[60] حامد الخفاف، النصوص الصادرة، مصدر سبق ذكره، ص 453

[61] المصدر السابق نفسه، ص 454

[62] حامد الخفاف، النصوص الصادرة، مصدر سبق ذكره، ص 453–454

[63] المصدر السابق نفسه.